الثبات يا طلاب العلم

أ.د. صالح بن عبدالعزيز سندي

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان ، أمَّا بعد:

فيا طلاب العلم: الثباتُ على الحق غايةٌ شمَّر الصادقون إليها، وجاهدوا أنفسهم عليها، وتأمل ما جاء عند «الترمذي» من حديث أنسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال: كان النبي ﷺ يُكثِرُ أن يقول: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»، فقال أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**يَا رَسُولَ اللهِ ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟**» فقال النبي ﷺ: «**نَعَمْ ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**». إذا كان أصحاب محمدٍ ﷺ يخاف عليهم رسول الله ﷺ من تقلُّبِ القلب؛ فماذا نقول يا إخوتاه عن أنفسنا ونحنُ في آخر الزمان!! وفي آخر الزمان الحياةُ تصبح مخيفة، ألم تسمع إلى حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا؛ يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**» أخرجه مسلم .

فلا إله إلا الله! ما أعظم هذا الأمر يا إخوتاه ، ليس العبرة بأن تسلك على الصراط المستقيم، إنَّما العبرة بالثبات عليه إلى الممات . بُؤسًا له؛ ذاك الذي عرف ثم أنكر، ذاك الذي سلك إلى الدرب ثم أدبر ، ذاك الذي ذاق الحلاوة ثم أعرض، تعسًا له باع الدُّر النفيس بالبعر الخسيس.

يا طلاب العلم: تأملوا بِمُقَل قلوبكم قول الله عز وجل ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا**﴾ ؛ « آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا» لربما كان من طلاب العلم بل من العلماء ، يعيش مع دَرْسٍ

الكتاب والسنة! ﴿آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ ؛ الغاوون : (مَن لا ينتفعون بعلمهم) ، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾؛ الرفعة بشيئين: بالإيمان والعلم ؛ ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[المجادلة:١١] .

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ كان مهيئًا أن يكون من المتقين فصار من الفاسقين، كان مهيئًا أن يكون من أهل الوعد فأضحى من أهل الوعيد، كان من أهل السنة والاتباع فغدا من أهل الهوى والابتداع، بل لربما كان مسلمًا فصار ملحدًا. فاللهم لطفك .الأمر -والله يا إخوتاه- عظيم، والمقام مقام جدّ وليس مقام هزل.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾؛ آتيناه آياتنا وهذه هي النتيجة : أنه ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾؟ نعم! أظلمه الله؟ أجازاه على الحسنة بالسيئة؟ لا وربي، فكرم الله أعظم ورحمته أوسع وهو الشكور سبحانه وتعالى، والله إنه ليجزي على الحسنة بالحسنة ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[محمد:١٧] ، إذاً من أين أُتي؟ أتيَ من قِبل نفسه ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ والسبب: ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[التوبة:٧٧] ، {وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ﴾ والسبب: ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾[النساء:٨٨] .

إذاً الأمر -يا إخوتاه- عظيم؛ ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾؛ قلبه تعلق بالدنيا لا بالآخرة ، اغتر بدار الغرور ففُتن بالفتن؛ مال إلى مال ، ذهب إلى ذهب ، انتصب إلى هوى منصِب ، ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾، ما أكثر الساقطين عن طريق الحق في هذا الزمان ؛ فحذاري يا من يريد نجاة نفسه .

يا طلاب العلم : كونوا أنصار الله ، وطِّنوا أنفسكم على أن تدعوا من ضلَّ إلى الهدى ، وأن تُبَصِّروا بكتاب الله أهل العمى ، وأن تصبروا منهم على الأذى .

يا طلاب العلم : كونوا جبال العلم وبحاره ، وشموس الحق وأقماره ، كونوا كالجبال أكنانا تكِنُّوا الناس من لهيب الغواية، كونوا رواسي شامخات أن تميد بالناس أرضهم ، فإن الحيرة قد استولت على كثيرٍ منهم ، كونوا من رُبَّان سفينة النجاة، فموج الشبهات والشهوات كالجبال .

يا طلاب العلم: إن كان ثمة رباطٌ على جبل الرماة اليوم فإنكم أنتم المرابطون ، فاتقوا الله في أنفسكم، أثبتوا ولا تبرحوا أماكنكم، لا تغيِّروا ولا تبدِّلوا، اصبروا على الحق، وصابروا على الدعوة إليه ، ورابطوا على ثغور الإسلام، واتقوا الله لعلكم تفلحون ، اصبروا ما هي إلا ساعات وتنقضي، ﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ [الزخرف:١٤]، ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم:٤٢] ، «اثْبُتْ أُحُدُ»، «اثْبُتْ أُحُدُ» .

اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد، نعوذ بك يا مقلب القلوب أن تقلِّب قلوبنا عن الحق والدين ، اللهم إنا نعوذ بك من الحوْر بعد الكوْر . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

وصلى الله على سيد ولد آدم ، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرا .